منهجية القرآن في الإصلاح حلاً للمشكلات الاجتماعية

الدكتور: عماد عبد الكريم الخصاونه

جامعة آل البيت

المفرق –الأردن

الملخص:

تهدف الدراسة إلى بيان مفهوم المشكلات الاجتماعية، ومعرفة خصائصها، وتصنيفها، ومعرفة أن القران الكريم قدم للمجتمعات كافة، وللأفراد خاصة، علاجاً صحيحاً، وناجحاً، وهو الإصلاح، الذي يكون مقيداً بإرضاء الله تعالى، وقائماً على قيم العدل والتسامح والتعاون، لجلب الخير للجميع أو لدفع الضرر عنهم، ومجالات الإصلاح بين الناس في القران الكريم ظاهرة لحل المشكلات الاجتماعية، وبالابتعاد عن الإصلاح يكون الفساد الذي يمقته الله تعالى ينعكس سلباً على الجميع.

مقدمة:

تتناول هذه الدراسة منهجية القرآن الكريم في الإصلاح الاجتماعي، ونستنتجها من الآيات الكريمة التي تظهر دقة التحويل الاجتماعي من حالته السالبة إلى العطاء الايجابي في النهوض الحضاري للمجتمع حتى يصبح أسلوباً وقائياً من جهة، وعلاجياً في الحالات التي تستدعي ذلك، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات، وذلك بعد تحديد المشكلات والأمراض الاجتماعية والتي تعد من العوامل المؤثرة على حركة المجتمع.

حدد القرآن الكريم مجالات الإصلاح الاجتماعي وأنواعها، وشرع في بيان الأسباب التي أفادت المسلمين كي ينهضوا نهوضا ساميا في بادئ أمرهم، وما مهده لهم دينهم القويم، من أسباب الرقي وانتشار العمران، وبعد أن ظهرت الأمراض والمشكلات الاجتماعية، فقد تراجع المجتمع الإسلامي عن ذلك التقدم الباهر؛ ولذا سأستعرض النصوص القرآنية التي حذرت من هذه الأسباب، لهذا لا بد من وسائل لإصلاح هذه الأحوال حتى يعودوا كما بدأوا من كمال الارتقاء[1].

وصف ابن عاشور كتاب الله تعالى بأنه كتاب إصلاح للناس كافة، فقال: " إن القرآن أنزله الله تعالى كتابا لصلاح أمر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم"[2]، مستدلا بقوله تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}[3].

---

[1] – ابن عاشور، محمد الطاهر، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب– الجزائر، ص 5.

[2] – المرجع نفسه، ص 18.

[3] – سورة النحل: 89.

مشكلة الدراسة:

نهض القرآن الكريم في صناعة المجتمع الإسلامي نهوضاً قوياً وصاغه صياغة ربانية وظهر أثرهم الإصلاحي على المجتمعات المحيطة بهم، لكن بعد ذلك فإنّ هذه المجتمعات لم تسلم من حالة الانحدار الحضاري جراء تراجعهم عن معارض الارتقاء، وذلك بظهور بعض المشكلات الاجتماعية التي كانت عاملا من عوامل التراجع الحضاري، أمام ذلك نثير بين يدي الدراسة الأسئلة الآتية:

- ما دور القرآن الكريم في الإصلاحات الاجتماعية، وما هي إمكانات تدارك الخلل الاجتماعي؟

- ما دور الآيات القرآنية في توجيه السلوك الاجتماعي؟

- ما هي الوسائل والأساليب التي تؤدي إلى تحقيق الإصلاحات الاجتماعية؟

فرضيات الدراسة:

لقد أشار القرآن الكريم إلى أنواع الإصلاح الاجتماعي، ووضع أهم وسائل تحقيق ذلك، ضمن منهجية متكاملة، ذات أبعاد واقعية، نستجليها من التاريخ الإسلامي الذي شهد محطات الازدهار الحضاري، وعالج منذ اللحظات الأولى أسباب التردي الحضاري.

خطة البحث:

من خلال دراسة الآيات القرآنية التي تناولت مجالات الإصلاح الاجتماعي، يمكن عرض موضوع الدراسة حسب الخطة الآتية:

المبحث الأول: المشكلات الاجتماعية تصنيفها وأسبابها

المطلب الأول: تعريف المشكلات الاجتماعية.

المطلب الثاني: خصائص المشكلات الاجتماعية.

المطلب الثالث: تصنيف المشكلات الاجتماعية.

المطلب الرابع: أسباب المشكلات الاجتماعية.

المبحث الثاني: أنواع الإصلاح بين الناس.

المطلب الأول: تعريف الإصلاح وأهميته.

المطلب الثاني: الإصلاح بين المسلمين وغيرهم

المطلب الثالث: الإصلاح بين المسلمين و أهل البغي.

المطلب الرابع: الإصلاح بين المسلمين في القضايا المالية.

المطلب الخامس: الإصلاح بين الزوجين.

الخاتمة.

1. معنى المشكلات:

لغة: مأخوذة من أصل شكا أو شكو، ولها معنى واحد وهو توجع من شيء، والشكي الذي يشكو وجعاً[1] وشكوت فلاناً أشكوه شكوى، وشكاية: إذا أخبرت عنه بسوء فعله بك، فهو مشكوى: والاسم الشكوى[2]، وأشكى الرجل: إذا أتى إليه ما يشكو فيه به، وأشكاه نزع له من شكايته وعاتبه، والشكي: الموجع، وأشكيه إذا أبث شكواي وما أكابده، وشكاني فلان فأشكيه: إذا أشكاك فزاده أذى وشكوى[3].

اصطلاحاً: وجود موقف اجتماعي يستلزم الحاجة إلى تحسينه أو علاجه[4].

2. معنى الاجتماعية:

لغة: أصل الكلمة من (جمع)، وهي تدل على تضام الشيء، يقال جمعت الشيء جمعاً[5]، فهي ضد التفرق، وجمعت الشيء عن تفرقه يجمعه جمعاً، والجمع اسم لجماعة من الناس، والمجموع هو أخذ من ههنا وههنا، وإن لم يجعل كالشيء الواحد[6]، واجتمع القوم

---

[1]- ابن فارس، احمد بن فارس بن زكريا (395 م)، معجم مقاييس اللغة، حققه عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1979، مادة (شكو) .

[2]- الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة: الرابعة- يناير 1990، ج6، ص 14.

[3]- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور (711 هـ)، لسان العرب، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، مادة (شكا)

[4]- العادلي، فاروق محمد العادلي، علم الاجتماع أسس نظرية وتطبيقات عملية، التكامل لإنتاج المواد التفافية، 1983، ص 235.

[5]- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (جمع)

[6]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (جمع)

واستجمعوا بمعنى تجمعوا، وجاء القوم جميعاً أي مجتمعين، والجمّاع اختلاط من الناس وقيل هم من الضروب المتفرقة من الناس[1].

3. تعريف المشكلات الاجتماعية (كمركب إضافي):

بذل علماء الاجتماع جهداً واضحاً في تعريف المشكلات الاجتماعية، وسأذكر أقوال العلماء في تعريفها:

1- فيرشيلد: "موقف يتطلب معالجة إصلاحية، وهذا الموقف نتاج لظروف البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الأفراد، ويتطلب الموقف تجميع الجهود والوسائل لمواجهته وتحسينه"[2].

2- آراب وسيلزنيك: "بأنها مشكلة في العلاقات الإنسانية التي تهدد المجتمع تهديداً قد يصل إلى الدرجة المؤثرة على المصالح الرئيسية لكثير من الأفراد"[3].

3- عرفها مارشال كلينارد: "بأنها انحراف في سلوك الأفراد عن المعايير التي تعارف عليها المجتمع للسلوك المرغوب"[4].

وإذا نظرنا إلى هذه التعريفات وغيرها[5]، وجدناها تحدد المشكلات الاجتماعية؛ بأنها تعني بوجود موقف أو مواقف اجتماعية مخالفة لعلاقات البيئة الاجتماعية وتتناول عدداً من

---

[1] – الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير، مكتبة لبنان، 1987 م، مادة (جمع)

[2] – العادلي، علم الاجتماع أسس نظرية وتطبيقات عملية، ص 254.

[3] – الخاقاني، محمد محمد طاهر آل شبر: علم الاجتماع بين المتغير والثابت، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، 1987 م، 215/1.

[4] – غيث، محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع التطبيقي، دار المعرفة الجامعية، ص43.

[5] – عرف جول هورثون، وجيرالدلزلي المشكلات الاجتماعية (الأحوال المؤثرة على عدد من الناس بطرق تعتبر غير مرغوبة، والتي تشعر بإمكانية عمل شيء ما نحوها من خلال العمل الاجتماعي والجماعي)، الجولاني، فاديه عمر الجولاني، مبادئ علم الاجتماع، مؤسسة شباب الجامعة، 1993 م، ص 434.

الأفراد في ذلك المجتمع، بحيث إنها تعيقهم عن القيام بوظائفهم وأدوارهم وفقاً للإطار العام، فالمشكلات الاجتماعية تكون عائقاً للقوانين والأنظمة في المجتمع، ويكون حلها عن طريق الأفعال الاجتماعية البناءة فيتضح دور القيم في حل المشكلات الاجتماعية[1].

تبين من خلال التعريفات أن من الضروري تحديد مفهوم المشكلات الاجتماعية لاكتشاف الأسباب المرتبطة بهذه الظاهرة[2] والتي تهدد وجود المجتمع، وتكون في بعض صورها خروجاً عن المعايير بالنسبة لأنماط السلوك المنحرف، مثل: الجريمة، والجنح، وحالات الطلاق التي تعتبر خروجاً عن المعايير إذا زادت في المجتمع أصبحت تهدد استقرار الأسر وأمنها، فالسلوك والأوضاع، والأحوال، التي تهدد المجتمع في تنظيمه واستقراره تحتاج إلى معالجة ومواجهة لاستبعادها، حتى لا يؤثر فعلياً على سلامة المجتمع، فكل ذلك يدخل في إطار المشكلات الاجتماعية[3].

وتكشف التعاريف أن طريقة السلوك الاجتماعي في ذاته قد يوجد عند كثير من الناس، ولكن إذا لم تحدد هذه الطريقة على أنها تمثل تعدياً على بعض المعايير، وما لم ينظر إليها عند عدد ضخم من الناس باعتباره اعتداءً على الضمير الأخلاقي فإنه لا يمكن تسميتها مشكلة اجتماعية؛ لأن المشكلة الاجتماعية لا تنفصل عن الوظيفة التي تقوم بها في سياق

---

[1]- غيث، دراسات في علم الاجتماع التطبيقي، ص 67.

[2]- من أسباب انتشار المشاكل الاجتماعية تعاطي المخدرات، والضعف العقلي، وانحراف الإحداث، والجريمة المنظمة، والانتحار، وانتشار الفاحشة، والأزمة السكانية، التمييز العنصري، التفكك الأسري، مشاكل العمل، وتفكك العلاقات، الانحرافات العسكرية، تفكك المجتمع المحلي، مشكلة المواصلات، الكوارث في حالة السلم أو الحرب، انظر: غيث، دراسات في علم الاجتماع، ص 63.

[3]- الجولاني، مبادئ علم الاجتماع، ص 430.

التفاعل والمشاركة، أي أنه ليس هناك مشكلة اجتماعية في ذاتها، بل لا بد أن توجد مشكلة اجتماعية في سياق معين وظروف معينة[1].

والحاصل مما سبق (أنه من العسير تقديم تعريف واضح ومفهوم للمشكلة الاجتماعية دون تعريف الدارس ببعض التفاصيل الامبيريطية للمشكلات الاجتماعية)[2]، حيث إن الوصول لمفهوم واضح للتعريف يتطلب تحديد مجموعة من الأبعاد الرئيسية، التي تخص جوانب المجتمع، وإلا سنجد أن التباين واضح في التعريفات.

وسبب التباين في التعريفات أن كل مجتمع له مواقفه الخاصة به، والتي ينظر إليها في ضوء معاييره السائدة، وكذلك في ضوء الفروق بالنسبة لدرجات تسامحه، أو عدم تسامحه فيما يتعلق بحالات الخروج على تلك المعايير، وفي ضوء تلك المعايير ودرجة تسامحه يتحدد رد فعل المجتمع وشدته حيال هذا الخروج[3].

المطلب الثاني خصائص المشكلات الاجتماعية

يتضح مما سبق من التعريفات أن المشكلات الاجتماعية لها خصائص منها:

- المشكلات الاجتماعية هي سلوك منحرف، وانتهاك للقواعد بشكل يوضح الخروج على هذه القواعد، وعلى حدود التسامح العام للمجتمع حيال ذلك[4].

- المشكلات الاجتماعية تعد مشكلة إذا انتشرت بين الناس، بأعداد كبيرة، أما إذا كانت منتشرة بين أعداد قليلة فتعتبر مشكلة فردية[5].

---

[1] - العادلي، علم الاجتماع أسس نظرية وتطبيقات عملية، ص 256.

[2] - غيث، دراسات في علم الاجتماع، ص 33.

[3] - الجولاني، مبادئ علم الاجتماع، ص 436.

[4] - العادلي، علم الاجتماع أسس نظرية وتطبيقات عملية، ص 256.

[5] - الجولاني، مبادئ علم الاجتماع، ص435.

-المشكلات الاجتماعية يمكن إدراكها؛ لأنها واضحة بين الناس بتعارضها مع قيم المجتمع، وهناك مشكلات مستترة، ولا يلحظها أفراد المجتمع، ويرتبط كشفها بما يسمى بالإدراك أو الوضوح الاجتماعي[1].

-الذي يفصل في تحديد المشكلات الاجتماعية هم أصحاب المراكز الاجتماعية الخاصة في المجتمع[2].

-وجود تداخل كبير وترابط وتشابك في المشكلات الاجتماعية، بحيث إنه لا يمكن أن تعزى إلى سبب واحد، ولا يمكن أن نحدد مشكلة ونقول بأنها مطلقة أو عامة؛ لأنها قضية نسبية، أي إنها محددة بإطار زماني ومكاني معين، فقد تزيد في وقت وتكون مشكلة، وقد تقل في زمن آخر وتكون مشكلة[3].

ومن هنا لا نكتفي بالوقوف عند رؤية جزئية في تحديد الخصائص، بل لا بد من جمع عدد من الحقائق والخصائص، ويأتي بعد ذلك محاولة لوصف الخصائص المرتبطة بالعلاقات الاجتماعية، والبناء الاجتماعي، والنسق الثقافي، ونسق الشخصية، ومن ثَمَّ العمل على تفسير المشكلة الاجتماعية، تمهيداً لتحديد سبل المواجهة بحلها، سواء أكان بالتخطيط أم بالتنمية أم بالإصلاح أم بالإرشاد، للأفراد والجماعات.

المطلب الثالث: تصنيف المشكلات الاجتماعية

إن تصنيف المشكلات الاجتماعية يختلف تبعاً لاختلاف الأساس الذي نقيم عليه النظرة التصنيفية، ويُعدُّ التصنيف مهماً؛ لأنه هو سبيل النهوض بالمجتمع؛ وبالتصنيف نتبع

---

[1]- غيث، دراسات في علم الاجتماع، ص 85.

[2]- المرجع نفسه، ص 83.

[3]- العادلي، علم الاجتماع أسس نظرية وتطبيقات عملية، ص 254.

منهجاً لتحليل المشكلات، وتُرَتَّبُ حسب أولوياتها، وأهميتها في كل مجتمع على حدى، ويفيد ذلك في البدء بحل المشكلات حسب الأهمية[1].

والعلماء مختلفون في التصنيف من حيث الأهمية، ولكنهم متفقون على وجودها جميعاً، وقد تمّ التقسيم والتصنيف إلى عدة أنواع تختلف عن بعضها البعض في طبيعتها[2]، وهي:

أ- مشكلات أساسية: وهي عدم القدرة على خدمة الأفراد في المجتمع، وعدم الوفاء بحاجياتهم، وسببه البعد عن الإيمان قال تعالى: {يَا أيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّـهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}[3] والبعد عن الإيمان يؤدي إلى عدم التعاون على البر والتقوى، قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}[4].

ب- مشكلات تنظيمية: وهي الحالة التي تكون فيها الخدمات موجودة، ولكنها غير قادرة على تلبية حاجات أفراد المجتمع؛ بسبب سوء التنظيم أو عدمه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"[5].

ج- مشكلات مرضية: وهي الحالة التي يعاني منها أفراد المجتمع مثل القتل، والسرقة، والتسول، والتشرد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا

---

[1]- العادلي، علم الاجتماع أسس نظرية وتطبيقات عملية، ص 263.

[2]- المرجع نفسه، ص 260.

[3]- سورة آل عمران: 102.

[4]- سورة المائدة: 2.

[5]- رواه البخاري، الاحكام، ج13، ص 100.

يكذبه ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه، التقوى ههنا، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم"[1].

د- مشكلات مجتمعية: وهي الحالة التي يعاني منها المجتمع من سوء العلاقات بين الجماعات المختلفة، وعدم اهتمام المواطنين بمشكلاتهم وتركها للظروف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حق المسلم على المسلم خمس: ردُّ السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس" [2].

هـ- مشكلات اقتصادية: وتتركز هذه المشكلات في الوضع الاقتصادي السيّء، بسبب البطالة المقنعة مما أدى إلى وجود فقر وبطالة، وعزوف الشباب عن العمل والاكتساب، جاء شاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله الصدقة فلم يرض النبي صلى الله عليه وسلم له ذلك وباع شيئاً من متاعه بدرهمين، فأعطاه درهماً ليشتري به طعاماً والآخر ليشتري به معولاً "قدوماً" ليحتطب به ووضع النبي صلى الله عليه وسلم العصا بيده الشريفة للمعول ثم أمره أن يذهب فيحتطب أربعه عشر يوماً فلما عاد سأله عليه الصلاة والسلام عن اكتسابه بالاحتطاب كما أمره فتبين انه قد أصاب مالاً يسدُّ به حاجته فقال صلى الله عليه وسلم: "هذا خير لك من أن تسأل الناس أعطوك أو منعوك".

و- مشكلات اجتماعية: وتكمن المشكلة في العادات والتقاليد السلبية، والتواكل، والإسراف في المناسبات، مثل: ما يحدث في المآتم والأعراس والأفراح علماً بأن النظام الاجتماعي حرّم الإسراف والتبذير قال الله عز وجل: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}[3]، وقال تعالى: {إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ}[4].

---

[1]- رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

[2]- أخرجه الشيخان. صحيح البخاري، الجنائز (112/3)، صحيح مسلم، السلام، ص 1704.

[3]- سورة الأعراف: 31.

[4]- سورة الإسراء: 27.

مع أن جميع الجوانب التي ننطلق منها، لفهم المشكلات الاجتماعية ليصار إلى تصنيفها، تقع ضمن إطار المجتمع، فيجب التنبيه على أمر مهم: وهو أن الثقافة ضرورية في بناء القيم والمعايير المنظمة للمجتمع، وتدخل ضمن مكونات البناء الدفاعي الموجه لسلوك الشخص[1] قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا}[2]

ويجب التنبيه على قضية أخرى وهي: أنه على الرغم من الاختلاف في تحديد تصنيف المشكلات الاجتماعية وعدم التيقن بوجود نظرية عامة للمشكلات الاجتماعية، إلا أن دراسة تلك المشكلات نابعة من الانحراف عن المعايير، والخروج عن النظم الاجتماعية، ((إلا أن كل اتجاه يشكل رؤية معينة تتكامل مع رؤية الاتجاهات الأخرى، في فهم المشكلات الاجتماعية المعاصرة، التي تواجه المجتمع البشري سواء أكان متقدماً أم نامياً))[3].

المطلب الرابع: أسباب المشكلات الاجتماعية

خلق الله تعالى الخلق، وجعلهم مختلفين في اللون والجنس، والطول والأرزاق، وشاءت قدرة الله أن تتنوع استعدادات هذا المخلوق واتجاهاته، وعنده قدره على اختيار طريقه وله حرية في اختيار اتجاهه، هذه سنة الله في الإنسان ولو شاء لخلقهم على نسق واحد واستعداد واحد، قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}[4] ولذلك خلقهم (اللام لام العاقبة أي خلقهم لتكون العاقبة اختلافهم ما بين شقي وسعيد)[5]، قال

---

[1]- الجولاني، مبادئ علم الاجتماع، ص439.

[2]- سورة آل عمران: 103.

[3]- الجولاني، مبادئ علم الاجتماع، ص 439.

[4]- سورة هود: 118.

[5]- صفوة التفاسير، ج1، ص37.

الطبري: "المعنى، وللاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم فريق في الجنة وفريق في السعير"[1]. فالقرآن الكريم أخبرنا بأنه هكذا اقتضت سنة الله وجرت مشيئته، فالاختلاف طبيعي في البشر خلقوا حسب سنة الله في خلقه، ووفق مشيئته، فمنهم من اختار الهدى ومنهم من اختار الضلال .

يقدم النظام الاجتماعي في الإسلام على أن أفراد البشر كافة كلهم من سلالة واحدة بعينها. فالله تعالى خلق في بدء الأمر نفساً واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما جميع أفراد البشر الذين نراهم اليوم قاطنيين الأرض في مختلف أرجائها، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّـهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّـهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[2]، فالخطاب لجميع البشر أنهم خلقوا بقدرة الله تعالى من أصل واحد وأوجدهم من أب وأم فلا تفاخر ولا اعتداد بالأحساب والأنساب كلكم من آدم وآدم من تراب. وجعل الله تعالى الناس شعوباً شتى وقبائل متعددة ليحصل بينهم التعارف والتآلف لا التناحر والتخالف.

فالإنسانية بدأت من ذكر وأنثى وكانوا على الإيمان والفطرة المستقيمة فتحولت الأمة إلى أمم مختلفة فاقتضى ذلك الأمر إلى التعددية "فبعث الله النبيين" فتعددت شرائع الرسل لتعدد أمم الرسالات قال الله تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّـهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ}[3]، فلمَّا تعددت الشرائع في إطار وحدة الدين فالإتلاف طبيعي هنا وهو غير مذموم .

أما الاختلاف في أصول الاعتقاد وأصول التشريع؛ فإنه تشرذم وهو خلاف لا جامع بين أقطابه، فالآية السابقة بينت أن الناس لا يستغنون عن الدين الذي شرعه الله لهم على

---

[1]- الطبري، ج 12، ص 144.

[2]- سورة الحجرات: 13.

[3]- سورة البقرة: 213.

لسان رسله، وإن الأشرار من الناس هم الذين يحملهم البغي على الاختلاف في الحق بعد ظهوره لهم، أما الأخيار منهم فهم الذين اهتدوا بتوفيق الله وتيسيره إلى طريق الخير والثواب والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم[1].

فالاختلاف في اللون واللغة ليس مدعاة للتمييز العنصري، والتظالم بين الناس، ولكنه آية من آيات الله تعالى ودليل على قدرته[2].

ويعتبر الاختلاف حافزاً للإنسان ودافعا على التنافس والتدافع والاستباق، ولولا ذلك لكانت الحياة سكوناً، وما ظهر في البشرية متميز ولا مبدع، ولا مخترع، ولا استطاع تحقيق عمارة الأرض، وتحقيق مقاصد الأمانة، قال تعالى: {وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}[3].

فالاختلاف أصل من أصول خلقتهم، يحقق حكمة عليا من استخلاف هذا الكائن في الأرض، والاختلاف في الاستعدادات والوظائف ينشئ اختلافاً في التصورات، والاهتمامات والمناهج والطرائق، فتستحيش ما بنفس الإنسان من طاقات ومكنونات، وتظل أبداً يقظة عاملة مستنبطة لذخائر الأرض، مستخدمة لقواها، وأسرارها وفي النهاية يكون الخير والصلاح والنماء[4].

---

[1] – طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط، ص 606.

[2] – أيوب شوقي عبد اللطيف أيوب، الاختلاف سنة الله في خلقة، مقال في مجلة منبر الإسلام، العدد3، السنة66، ربيع الأول 1428هـ، مارس 2007م، ص112.

[3] – سورة المائدة: 48.

[4] – سيد قطب، في ظلال القران، طبعة– بيروت 1987م، ج 1، ص 215.

فالتفاوت بين الناس كان للعمارة، والعمل لا للتعالي، والتظالم، فجمع الله بين الأصل والغاية، قال تعالى: {يَا أَيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[1].

والخلاف في الأصول الجامعة، خلاف تفريقي، مذموم؛ لأنها تؤدي إلى الفتنة في الصف وتفريق الجمع، وتشتيت الكلمة، وبالتالي سيرتكب الإنسان جرماً في حق نفسه ومجتمعه حين يعطل مراكز حسه وأداة فكره[2].

فما دام هناك بشر فهناك اختلاف، وما دام هناك إيمان وكفر، فهناك عدل وظلم، وتفرق وتنازع وصراع؛ فكانت الحاجة ماسة إلى الإصلاح بين الناس وإقامة العدل والتعاون وإشاعة العفو والتسامح، وإذا كان التعاون واجباً في الأمور المتفق عليها فإن التسامح يكون واجباً في الأمور المختلف فيها؛ لأن التسامح هو ركيزة الإسلام[3]، وبالتالي يكون اعتصاماً بحبل الله تعالى: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ}[4]، قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسيرها؛ إن حبل الله القرآن وإن حبل الله الجماعة[5].

فإذا وقعت مشكلات تؤدي إلى الصراع والتنافر والتفريق، وكذلك إذا اختلفتم في أمر من الأمور فيجب الإصلاح بالاحتكام إلى كتاب الله وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم،

---

[1]- سورة الحجرات: 13.

[2]- أبي وب، الاختلاف سنة الله في خلقه، ص113، الجولاني، مبادئ علم الاجتماع، ص438، العادلي، علم الاجتماع أسس نظرية وتطبيقات عملية، ص253.

[3]- غنايم، محمد نبيل، بحوث ونماذج من التفسير الموضوعي، دار الهداية، ط1، 2002 م، ص106.

[4]- سورة آل عمران: 103.

[5]- السيوطي، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور بالتفسير المأثور، دار الفكر- بيروت، ط1993، ج2، ص285.

ويجب الصلاح بالرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم؛ قال تعالى: {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ}[1].

المبحث الثاني: أنواع الإصلاح بين الناس

المطلب الأول: تعريف الإصلاح وأهميته.

الإصلاح بصورة عامة حاجة ضرورية في البناء الاجتماعي سواء في حالة معالجة المشكلات الاجتماعية، أو حالة الإصلاح الوقائي للمجتمع، وتحصينه من الاستجابة للأمراض الاجتماعية التي تعوق حركة النهوض الاجتماعي والبناء الحضاري، واستجلاء للإصلاح وبيان أهميته نقف على تعريفه:

أولا: تعريف الإصلاح:

لغة: الصاد واللام والحاء، أصل واحد يدل على خلاف الفساد، فيقال: صَلَحَ الشيء صلاحاً[2] فالصلاح ضد الفساد، والإصلاح نقيض الإفساد، والاستصلاح نقيض الاستفساد، وأصلحه بعد فساده؛ أي أقامه، وصلح يصلح صلاحاً، وصلوحاً: زال عنه الفساد، والشيء كان نافعاً أو مناسباً[3]، وأصلح في أمر أو عمله، أتى بما هو صالح نافع، وأصلح الشيء إذا أزال فساده، وأصلح بينهما أو ذات بينهما، أي أزال ما بينهما من عداوة وشقاق، وصالحه مصالحة:

---

[1]- سورة النساء: 59.

[2]- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (صلح).

[3]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (صلح) .

سالمه وصافاه، واصطلح القوم: زال ما بينهما من خلاف، وعلى الأمر تعارفوا واتفقوا، والصالح: المستقيم المؤدي لواجباته، والصلاح: الاستقامة والسلامة من العيب، والصلح إنهاء الخصومة[1].

اصطلاحاً: عرفه بعضهم بأنه (إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزاء ما طرأ عليه من الفساد)[2]، وقال بعضهم بأنه "إرادة الخير وتقويم المعوج"[3].

وقال بعضهم بأنه: "إزالة ما بينهم من عداوة وشقاق، وذلك عن طريق العدل الذي جاءت به الرسل والكتب السماوية تم الفضل وهو التسامح والعفو"[4].

وأرى أن التعريف الأخير هو الأقرب إلى معنى الإصلاح؛ لأنه يعتبر تعريفاً شاملاً؛ لأنه اشتمل على التعريفين السابقين، وأن العدل ما جاء به الرسل، وذكر فضل التسامح.

ثانيا: أهمية الإصلاح:

إصلاح الحياة الإنسانية؛ ضرورة يقررها القرآن الكريم، بدءاً من إصلاح الأفكار والمعتقدات، وإصلاح المعايير السلوكية، والجوانب الاجتماعية، وتبرز أهمية الإصلاح في تحقيق الأمن الشامل للأفراد والمجتمع[5]، قال تعالى: {فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}[6]

---

[1]- إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ج1، ص 520.

[2]- هذا التعريف للشيخ عبد الحميد بن باديس، نقلاً عن كتاب، الصلاحي، الأستاذ أمين نعمان: من وسائل القران في إصلاح المجتمع، كتاب الأمة، العدد 127، السنة الثامنة والعشرون، ص 32.

[3]- هذا تعريف للشيخ هاشم محمد، سلسة المنهاج، 66/2، نقلاً عن الصلاحي، ص 32.

[4]- غنايم، بحوث ونماذج من التفسير الموضوعي، ص107.

[5]- الصلاحي، من وسائل القران في إصلاح المجتمع، ص36.

[6]- سورة الأعراف: 35.

وقال تعالى: {فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}[1].

فالمجتمع الذي يبحث عن الأمن والاستقرار لا بد له من العمل الجاد، والمتواصل بطريق الإصلاح المبني على الإيمان والتقوى؛ لأن الصلاح لا يقوم إلا بتوحيد الله تعالى، والإقرار بالإلوهية والربوبية، فمن اتقى ربه بفعل الطاعات وترك المحرمات فهؤلاء هم أهل الصلاح الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وبهذا يتحقق الأمن ويجتنب الفساد المؤدي إلى الهلاك، قال تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}[2]، وهذا مما جرت عادة الله تعالى به أن يهلك القرى ظلماً وأهلها مصلحون في أعمالهم؛ لأنه تعالى منزه عن الظلم وإنما يهلكهم بكفرهم ومعاصيهم، وإرادة الإصلاح من أسباب التوفيق فيه، قال تعالى: {إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا}[3]، ومقدار الأجر والثواب لا يعلمه إلا الله تعالى، قال تعالى: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}[4]، فبينت الآيات أن الإصلاح يجلب مغفرة الله تعالى ورحمته بالعباد والبلاد، علماً بأن المصلح يقوم بالإصلاح على قدر طاقته وجهده، قال ابن كثير: " إنما أريد إصلاحكم جهدي وطاقتي"[5]، ويكون ذلك بإقامة العدل بين الناس، قال الرسول- صلى الله عليه وسلم -: "كل سُلامى من الناس عليه صدقة، وكل يوم تطلع فيه الشمس قال: تعدل بين اثنين صدقة، وتعين

---

[1]- سورة الأنعام: 48.

[2]- سورة هود: 117.

[3]- سورة النساء: 35.

[4]- سورة الشورى: 40.

[5]- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر، القرشي الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر-بيروت، ط 1994م، تحقيق: محمود حسن، ج2، ص 612.

الرجل على دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة"[1].

فكل جهد يبذل في سبيل تغيير الأوضاع الفاسدة، هو إصلاح يحرص عليه كل داعية إلى الخير، ويبذل طاقته في ذلك[2].

ويتضح مما سبق أن الإصلاح يشمل جميع جوانب الحياة البشرية، وسائر النشاطات الإنسانية، فهو (عام في الدماء والأعراض والأموال وفي كل شيء يقع التداعي فيه)[3].

وتجدر الإشارة إلى أنّ استخدام الإصلاح يكون لحل المشكلات الاجتماعية بين الناس وتحقق فائدة مهمة جداً، وهي دعم الجانب الوقائي في المجتمع من تلك المشكلات، فالإصلاح يقدم علاجاً للمشكلات والوقاية منها[4].

المطلب الثاني: الإصلاح بين المسلمين وغيرهم

لقد أعلن الإسلام بكل ووضوح عداوته للتطرف والغلو، سواء في الدين أو في التعامل الأخلاقي البشري، متوخياً في دعوته أسلوباً حضارياً راقياً يقوم على مبدأ التسامح، ويندد بالتعصب الديني والإرهاب الفكري[5]، وقد أعلن القرآن الكريم أنه لا إجبار ولا إكراه لأحد

---

[1]- رواة البخاري ومسلم، جامع الأصول، ج 1، ص 424، رقم الحديث 230 (البخاري 5/226 في الصلح، باب فضل الإصلاح بين الناس ومسلم 1009، في الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف .

[2]- غنايم، بحوث ونماذج من التفسير الموضوعي، ص 129، الصلاحي، الأستاذ أمين نعمان، من وسائل القرآن في إصلاح المجتمع، ص 37.

[3]- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ج1، ص 515.

[4]- الجولاني، مبادئ علم الاجتماع، ص 442.

[5]- الشعبي، احمد قائد الشعبي، وثيقة المدينة المضمون والدلالة، كتاب الأمة، رقم 110، السنة الخامسة والعشرون، قطر، ط1، 2006م، ص 170.

على الدخول في دين الإسلام فقد بانَ ووضح الحق من الباطل والهدى من الضلال، قال تعالى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[1]، وحدد القرآن الكريم العلاقة مع غير المسلمين الذين لم يحاربوكم من أجل دينكم و لم يخرجوكم من بلادكم، قال تعالى: {لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[2]، فبينت الآية أنّ علاقة المسلمين مع المخالفين هي البر والقسط، وصون الحريات والكرامة، أما إن كان هناك عدوان فيجب دفع العدوان، فسلامة المجتمع وأمنه ضرورة من المقاصد الشرعية المهمة في الشريعة وهذا لن يتحقق إلا بالحفاظ على العلاقة مع الآخر في إطار التعايش السلمي والتعاون بين الأفراد.

ولكن قد تجد إثارة لمشكلة معينة من بعض الأطراف للمسلمين، قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ}[3]، فهذه الآية عامة لكل من اشتغل بما لا يعنيه، وعوَّق طريق الإصلاح بالمعاصي والابتعاد عن الإيمان، وإغراء أهل الكفر والطغيان على أهل الإسلام وهيج الحروب ونشر الفتن، وأفشى أسراراً عن المسلمين، فذلك يؤدي إلى فساد في نظام المجتمع وقطع موارد الإنعام .

الإفساد الصادر منهم على مراتب:

الأولى: إفسادهم أنفسهم بالإصرار على تلك الأمراض القلبية.

الثانية: إفسادهم للناس ببث الدعوة إليه، وتحبيب الناس فيه.

---

[1]- سورة البقرة: 256.

[2]- سورة الممتحنة: 8-9.

[3]- سورة البقرة: 11.

الثالثة: إفسادهم بالأفعال التي ينشأ عنها فساد المجتمع، ونشر الفتن، وتأليب الناس ضد المسلمين، وإحداث العقبات في طريق المصلحين.

فالإفساد في الأرض يصيّر الأشياء الصالحة إلى مضرّة، وإزالة الأشياء النافعة، وإفساد الأنظمة، وإفساد المساعي وبث الجهل، وتحسين الكفر[1].

ولكن المنافقين ردوا بأنهم أهل إصلاح، بسبب أنهم ظنوا أن في مقالة الكافر صلاحاً لهم، أو لأنهم أنكروا ذلك[2]، فردّ الله عليهم ما ادعوه في الانتظام في سلك المصلحين بأقبح رد وأبلغه، فالاستئناف في الآية للتنبيه والتأكيد، فكان التعبير بنفي الشعور، إذ لو شعروا أدنى شعور لتحققوا أنهم مفسدون وفي ذلك القول يكون قائله أجدر بالمذمة[3].

والحقيقة أنه بسبب كفرهم ومعصيتهم جعلوا يفسدون في الأرض، وظنوا أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه هم السفهاء، وفي ذلك مبالغة منهم في الرد فحصوا أنفسهم بالإصلاح مبالغة المفجوع الذي أذهلته المفاجأة بكشف أستار حقيقته، فالقرآن الكريم قد وضع في الرد عليهم جملة صدرها بأداة الاستفتاح إيذاناً بأن ما قالوه يجب أن يهمل إهمالاً، بل يجب أن يكون وصفهم بالإفساد قضية مبتدأة مقررة حتى يتلقاها السامع وهو منتبه النفس حاضر الذهن[4].

---

[1]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص195-196.

[2]- ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي، للباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1419 هـ -1998، ج1، ص349، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، النكت والعيون، دار الكتب العلمية- بيروت، ج12، ص75.

[3]- الإدريسي، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني، البحر المديد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط2، 2002 م، ج1، ص51.

[4]- أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، بحر العلوم، دار الفكر- بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي، ج1، ص 53.

فنلحظ أن بعض المخالفين تجده يتصدر الإفساد في المجتمع من أجل الاضطراب والقلاقل وإثارة النزاعات، ظناً منهم أن ذلك يعد إصلاحاً وباعتقادهم أنهم في ذلك يكونون مصلحين؛ لأنهم لا يفهمون فكرة الإصلاح؛ لذا يجب على المجتمع أن يكون متيقظاً لهذه الفتن حتى لا ينجرف وراءها ويقع في الذي يخطط له من قبل المفسدين.

وقد كان الإصلاح حاضراً في القصص القرآني، فنجد أن موسى عليه السلام يوصي أخاه هارون بالإصلاح وأن لا يتبع سبيل المفسدين، فيظهر أن طريق الإصلاح منهج عام يتبعه الأنبياء لتقويم الاعوجاج الذي قام به المخالفون قال تعالى: {وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}[1]، بينت الآية أهمية القيادة، فكان موسى عليه السلام قائداً لبني إسرائيل يسوسهم بالخير، ولما اضطُرَّ إلى أن يغيب عنهم لم يتركهم بدون أمير قائد، وإنما عين هارون قائداً لهم، وبينت الآية أن الإصلاح له من الأهمية ما للقيادة، بل يتمم بعضه البعض الآخر، فلما كان بنو إسرائيل أهل فساد وأصحاب باطل أوصى موسى هارون بأن يسوس قومه بالحق والإصلاح ويقف أمام أهل الفساد والإفساد[2].

فبنو إسرائيل ضعفاء الإيمان واستهوتهم الشياطين، واستولت عليهم الشهوات، وكان موسى قد توقع منهم الشر والفساد، فخلف هارون عليهم ليسوسهم نحو الخير والخيرات بوسيلة مهمة وهي الإصلاح[3].

---

[1]- سورة الأعراف: 142.

[2]- الخالدي، صلاح، القصص القرآني وقائع وتحليل أحداث، دار القلم- دمشق، الطبعة الأولى 1998م، ج3، ص 135-136.

[3]- الألوسي، محمود أبو الفضل، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ج16، ص251، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر- بيروت، 1399 هـ /1979م، ج2، ص281، طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط، د.ط.د.، ج1، ص 1685.

ولما كان الفساد لا يتوافق مع الفطرة الإنسانية، خاف الإسرائيلي على نفسه من موسى، قال تعالى: {قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ}[1]، فلما عرف الإسرائيلي قوة موسى من حادثة قتل القبطي الذي وكزه من مجمع يده، ورأى موسى قادماً عليه خاف على نفسه ووصف موسى عليه السلام بأنه لا يريد الإصلاح[2]، وبينت الآية أن التخاصم والاختلاف لا ينهيه إلا المصلحون[3]، وبينت الآية أيضاً أن المصلح لا يكون عنده شدة الانتقام، بل يسعى إلى التراضي بين الخصمين، ويكون ذلك من المصلح تواضعاً لأمر الله تعالى، وتحقيقاً لدرء المفاسد بين الناس بالقول والفعل[4]، فالذي يتمسك بأوامر الله تعالى، ويعتصم بحبله في جميع شؤونه، هو الذي يكون مصلحا قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ}[5]، فقد وضحت الآية أن التمسك بالكتاب يشمل كل عبادة وطاعة، وهي طريق الفلاح والصلاح لكي يسيروا عليها، وفي الآية توبيخ لليهود لافترائهم على الله تعالى الكذب وأكلهم أموال الناس بالباطل، فنبهت الآية على أن الإصلاح مانع من التضييع[6].

---

[1] – سورة القصص: 19.

[2] – الخالدي، القصص القرآني، ج2، ص 319.

[3] – جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 1424هـ/2003، ج4، ص 62.

[4] – أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ج7، ص7، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10، ص 446.

[5] – سورة الأعراف: 170.

[6] – ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج9 ص375، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج8، ص343.

وبين القران الكريم أن السبب في إهلاك المجتمعات هو الإكثار من النزاعات والخصومات بين الأفراد، وهذه تقع بسبب الظلم والابتعاد عن الإصلاح قال تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}[1]، فإن الله تعالى لا يهلك الإنسانية بظلم منه: سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، وأنهم لو كانوا مصلحين لما أهلكوا والإهلاك هو عذاب الاستئصال في الدنيا وعذاب في الآخرة فهو لازم[2].

وقد ورد في قصة شعيب عليه السلام قوله تعالى: {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}[3]، كان قوم شعيب ينقصون الميزان والمكيال وهذا يدل على فساد الاقتصاد عندهم، وهو من الأسباب الرئيسة للمشكلات الاجتماعية بين البشر، وكان منهج شعيب الأمثل لحل تلك المشكلة عن طريق الإصلاح[4]، ووضح أنه يجب أن يتبع منهج الله تعالى في الإصلاح، قال تعالى: {وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}[5]، فالفجار هم الذين ينقصون الكيل والميزان وهذا فيه

---

[1]- سورة هود: 117.

[2]- صفوة التفاسير، ج 2، ص 37.

[3]- هود: 88.

[4]- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط 1985، ج9، ص89، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 456.

[5]- سورة الأعراف: 85.

هلاك وعذاب ودمار، قال تعالى: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ}[1] بينما يسعى الأنبياء لإصلاح حالهم بالعدل والمساواة.

والحاصل، أن بعض الناس عندهم من الفساد والإفساد الشيء الكثير، في جميع نواحي الحياة، ويسعون إلى إثارة الفتن وإلى نقص الكيل والوزن مما يؤدي للفساد الاقتصادي وقد تكون نتيجته سفك الدماء وتدنيس الأعراض والإخلال بالأمن الشامل للمجتمع ولا سبيل للتصدي لذلك إلا بالإصلاح، وهذه هي مهمة الأنبياء ومنهجهم القائم على الإصلاح واحترام الجميع والتعايش الإنساني وتحقيق العدل.

المطلب الثالث: الإصلاح بين المسلمين مع أهل البغي

يدعو القرآن الكريم المسلمين إلى وحدة الصف واتحاد الكلمة، ولا ينبغي أن تكون بين المسلمين عداوة، ولا شحناء ولا تباغض ولا تقاتل قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}[2] أي ليس المؤمنون إلا أخوة، جمعتهم رابطه الإيمان، وإن حدث أن فئتين وجماعتين من إخوانكم المؤمنين جنحوا إلى القتال فأصلحوا بينهما، قال تعالى: {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّـهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}"[3].

عرف الفقهاء مصطلح البغاة: بأنهم الخارجون من المسلمين عن طاعة الإمام الحق بتأويل، ولهم شوكة ويعتبر بمنزلة الخروج؛ الامتناع من أداء الحق الواجب الذي يطلبه الإمام كالزكاة، ويطلق على من سوى البغاء اسم (أهل العدل) وهم الثابتون على موالاة الإمام[4].

---

[1]- سورة المطففين: 1-3.

[2]- سورة الحجرات: 10.

[3]- سورة الحجرات: 9.

[4]- الموسوعة الفقهية الكويتية، ج8، ص 130.

وإن حدث أن فئتين وجماعتين من المؤمنين جنحوا إلى القتال فأصلحوا بينهما واسعوا جهدكم للإصلاح بينهما .فأن تعدت إحداهما على الأخرى و لم تجب إلى حكم الله وكتابه، وتجاوزت حدها بالظلم والطغيان، و لم تقبل الصلح، وصممت على البغي فقاتلوا الفئة الباغية حتى ترجع إلى حكم الله وشرعه، وتُقلع عن البغي والعدوان، وتعمل بمقتضى أخوة الإسلام، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا.

وهنا يكلف الله تعالى الذين آمنوا من غير الطائفتين المتقاتلتين، أن يقوموا بالإصلاح بين المتقاتلين، فإن بغت إحداهما فلم تقبل الرجوع إلى الحق، ومثله أن تبغيا معاً برفض الصلح، فعلى المؤمنين أن يقاتلوا البغاة إذن، وأن يظلوا يقاتلونهم حتى يرجعوا إلى أمر الله فإن تمَّ قبول البغاة إلى حكم الله، قام المؤمنون بالإصلاح القائم على العدل الدقيق، طاعة لله وطلباً لرضاه.

ومما يترتب على هذه الأخوة أن يكون الحب والسلام والتعاون والوحدة هي الأصل في الجماعة المسلمة، وأما إذا حدث خلاف أو قتال بين فئتين من المؤمنين فهذا استثناء يجب أن يرد إلى الأصل فور وقوعه، فإن بغت طائفة، وهمت بالقتال، وباشرته فعلاً، فيجب دعوتهم إلى الإصلاح وعدم القتال والإصلاح يكون مبنياً على العدل، فإن اعتدت بعد الصلح وقاتلت وجب مقاتلتها لأنها فئة باغية.

فالطائفة الباغية، إن همت بالاقتتال أو باشروه فعلاً، يجب دعوتهم إلى الإصلاح وعدم الاقتتال، والإصلاح مبني على العدل بينهما، فإن اعتدت بعد الصلح وجب المقاتلة لأنها فئة باغية، لحديث رسول الله-صلى الله عليه وسلم -: "من أتاكم وأمركم جميعا على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه"[1]، وروى عن ابن عباس- رضي الله

[1]- مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري: الجامع الصحيح، دار الجيل بيروت، ج6، ص23، حديث رقم4904، باب حكم من فرق أمر المسلمين.

عنهما- مرفوعاً: "من كره من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً فميتته ميتة جاهلية"[1]، فالطائفة الباغية إذا خرجت على الإمام فإنها تفرق صف المسلمين وتضعف وحدتهم، قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم -: "ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان"[2]، فالحديث فيه أمر بقتال من خرج على الإمام أو أراد تفرق كلمة المسلمين ونحو ذلك، ويرى بعض العلماء أنه يلزم الإمام مراسلتهم، والرد على شبههم، وإزالة ما يدعونه من ظلمة؛ لأنها وسيلة إلى الصلح المأمور به قال تعالى: {فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}، فإن لم يفيئوا ورجعوا للبغي وطلبوا القتال لزم الإمام قتالهم ويجب على الرعية المعونة[3]، قال تعالى: {فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ} وحديث أبي ذر مرفوعاً (من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)[4].

فإن استنظروه مدة أنظرهم، حفاظاً على دماء المسلمين، وإن خاف مكيدة فلا يجوز له إنظارهم، ومن أُسر من أهل البغي حتى ولو كان صبياً أو امرأة حبس، دفعاً للضرر على أهل العدل، والحاصل أنه توفير للأمن وبحث عن الاستقرار وحل للمشكلات، يجب المحافظة على نظام الدولة فالآية حرمت الخروج على ولي الأمر، وسمي ذلك بغياً وهو ظلم كبير، وفرض على جميع الأمة الوقوف مع ولي الأمر في مقاتلة البغاة وردعهم، يقول الشوكاني: "هذه الآية دليل على قتال الفئة الباغية؛ إذا تقرر بغيها على الإمام أو على أحد من المسلمين،

---

[1]- البخاري، الجامع المسند الصحيح، ج6، ص2588، حديث رقم 7054، باب سترون بعدي أمورا تنكرونها.

[2]- مسلم، الجامع الصحيح، ج3، ص1479، حديث رقم 1852، باب حكم من فرق أمر المسلمين.

[3]- غنايم، بحوث ونماذج من التفسير الموضوعي، ص 120-128.

[4]- الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1411 – 1990، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ج1، ص582، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

ولو أن كل خلف وقع بين المسلمين أدى إلى الهروب منه ولزوم المنازل لما أقيم حق ولا أبطل باطل، ولوجد أهل الفجور سبباً إلى استحلال ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين، وسبي نسائهم وسفك دمائهم بأن يتحزبوا عليهم فهذه الآية أصل في قتال المسلمين الباغين، وعمدة في حرب المتأولين، وعليها عوّل الصحابة، وإليها لجأ الأعيان من أهل الملة"[1] فدرءاً للمفاسد وحلاً للمشكلات وحفاظاً على الدماء والنساء والأموال وجب إصلاح الفئة الباغية.

المطلب الرابع: الإصلاح بين المسلمين في القضايا المالية

أولى القران الكريم النسيج الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية عناية فائقة، ولما كانت المجتمعات لا تخلو من مشكلات مالية فقد جعل الحل لتلك المشكلات في القران الكريم، فعندما وقع خلاف بين الصحابة الكرام في قضية الغنائم أمر الله تعالى الصحابة بالإصلاح، قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}[2]، فاتقوا الله في أموركم وأصلحوا فيما بينكم، ولا تظالموا ولا تخاصموا ولا تشاجروا[3]، فما آتاكم الله من الهدى والعلم خير مما تختصمون بسببه.

بينت الآية الكريمة أن أمر الأنفال لله تعالى، ولرسوله- صلى الله عليه وسلم -وليس لأحد منكم، وفي الآية أمر بتقوى الله تعالى، والإصلاح بين الصحابة الكرام ليتم الائتلاف، والابتعاد عن الاختلاف والشقاق، فالإصلاح يوثق عرى المحبة بينكم، ويصفي قلوبكم من كل ضغينة وحقد، فإن كمال الإيمان يقتضي التمسك بثلاثة خصال، امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، وإصلاح ذات البين بالعدل والإحسان[4]، فسبب نزول الآية أن الصحابة

---

[1]- الشوكاني، فتح القدير، ج5 ص63، ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج17، ص540، الماوردي، النكت والعيون، ج5، ص 330.

[2]- سورة الأنفال: 1.

[3]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص237.

[4]- السيوطي، الدر المنثور بالتفسير المأثور، ج4، ص6، الإدريسي، البحر المديد، ج3، ص4.

قد اختلفوا في الغنائم، قال عبادة بن الصامت "نزلت فينا أصحاب بدر حين اختلفنا، وساءت أخلاقنا فنزع الله الأنفال من أيدينا وجعلها لرسول صلى الله عليه وسلم فقسمها على السواء، فكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين"[1]، فلما بُدِءَ بتوسيط الأمر بإصلاح ذات البين بين الأمر بالتقوى والأمر بالطاعة لإظهار كمال العناية بشأن الإصلاح، فالإصلاح أعظم القربات والطاعات لله تعالى[2].

وكذالك أمر القرآن الكريم بالإصلاح بين المسلمين في الوصية، إذا علم أو ظن من الموصي ميلاً عن الحق بالخطأ، قال تعالى: {فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[3]، أي فمن علم إذاً الموصي ميلا عن الحق بالخطأ (أو أثما) أي ميلا عن الحق عمدا (فأصلح بينهم فلا إثم عليه) أي إصلاح بين الموصي والموصى له، وقال بعض العلماء "لا خلاف أنه إذا أوصى بما لا يجوز، مثل، أن يوصي بخمر أو خنزير أو شيء من المعاصي، فإنه لا يجوز تبديله ولا يجوز إمضاؤه، كما أنه لا يجوز إمضاء ما زاد عن الثلث، والجنف الميل والمجاوزة، وعلى الوصي أن يصلح ذلك بإزالة ما وقع بين الورثة من الشقاق، والاضطراب بسبب الوصية الجائرة، وذلك بإبطال ما فيه من ضرار ومخالفة لما شرعه الله"[4]، والوصية إن كانت صحيحة تؤدي إلى الرحمة والألفة، والمودة بين الورثة، وصحتها متوقفة على العدل بين الورثة، وإن كانت غير ذلك ستؤدي إلى الشقاق والتخاصم، والخلافات التي من نتائجها تفكيك المجتمع، لذا يجب أن يبدأ في هذه الحالة بالإصلاح كما

---

[1]- السيوطي، الدر المنثور بالتفسير المأثور، ج4، ص8.

[2]- الصابوني، محمد علي الصابوني، روائع البيان تفسير أي ات الأحكام، مكتبة الغزالي، الطبعة الثالثة، 1980م، ج1، ص591.

[3]- سورة البقرة: 182.

[4]- نقلاً عن غنايم، بحوث ونماذج من التفسير الموضوعي، ص 127.

أمر الله تعالى، الذي يكون بعيدا عن الجنف، ويؤدي بين الناس إلى العدل، فمن خالف الوصية التي أقيمت لتحقيق العدالة فله العذاب[1].

والعدل في الإصلاح مطالب به أولياء اليتامى، قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ}[2]، وفي الآية تحذير للأوصياء من الظلم للأيتام الذين جعلهم الله تحت رعايتهم، وأمرهم بالإحسان إليهم، فكما يخشى الإنسان على أولاده الصغار الضعاف بعد موته، عليه أن يتقي الله في هؤلاء الأيتام[3].

فالمخالطة ينبغي أن تكون على وجه الإصلاح لأموالهم فإن ذلك أصلح من مجانبتهم ودليل على جواز التصرف في أموال اليتامى من الأولياء والأوصياء بالبيع والمضاربة والإجارة، ويتم ذلك بالعدل وفي الآية تحذير للأولياء أن الله لا يخفى عليه من يريد الإفساد، ومن يريد الإصلاح، وأنه سيجزى كل أحد بعمله فمن أصلح فلنفسه ومن أفسد فعليها[4].

فالله تعالى يأمر الناس بمراعاة مصلحة اليتيم، والعناية بماله وعدم التصرف فيه إلا بالتي هي أحسن، فإن ذلك أعلى درجات الإحسان والمعروف؛ لأنه يتم على مبدأ العدل.

---

[1] – الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر، جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج3، ص 399، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الثالثة، 1404، ج1، ص 83، الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص275، سيد قطب، في ظلال القران، ج1، ص 138.

[2] – سورة البقرة: 220.

[3] – الصابوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام، ج10، ص 435.

[4] – ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج4، ص 46، أبو السعود، رشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج1، ص 220، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص 240.

فينبغي في القضايا المالية الإصلاح بين الناس ولا يجوز ترك الإصلاح وتعطيله بحجة البر باليمين، قال تعالى: {وَلاَ تَجْعَلُواْ اللّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[1]، قد يحلف المسلم بالامتناع عن فعل الخير معللاً باليمين فيقول: حلفت بالله ألا افعله (الخير) وأريد أن أبر بيميني فأمر الله عز وجل: افعلوا الخير وكفروا عن أيمانكم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: "لا تجعلنّ الله عرضة ليمينك أن لا تصنع الخير، ولكن كفر عن يمينك واصنع الخير"، قال تعالى: {أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ} لا تجعلوه تعالى سببا مانعا عن البر والتقوى والإصلاح بين الناس، وقد نزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف ألا يكلم ختنه النعمان بن بشير ولا يصلح بينه وبين أخته فأمر الله تعالى بالإصلاح ولو أنه يجد مشقه في ذلك .

المطلب الخامس: الإصلاح بين الزوجين

تتكون الأسرة من الزوج والزوجة وتعتبر هي النواة للمجتمع، وهذه النواة يجب أن تكون قوية، وبقوتها يكون المجتمع قوياً، وبضعفها يكون ضعيفاً، ولأجل ذلك فقد وضع القرآن الكريم تشريعات، وقائية وعلاجية، تحمي الأسرة والأفراد فيها من أي مشكلة قد تفتتها، أو تؤدي بأفرادها إلى الانحراف والانجراف، فمهما حدثت من مشكلة داخل نطاق الأسرة، فإن القرآن الكريم وضع علاجا مهما للقضاء على هذه المشاكل، وأهم وسيله للقضاء على المشاكل هو الإصلاح، فأشار القرآن الكريم إلى العلاج أي الإصلاح الذي يجب أن يتبع.

فبيّن القرآن الكريم أن العلاقة التي يجب أن تربط الرجل بزوجاته هي حرصه على العدل، نعم أباح الإسلام التعدد، لقوله تعالى: {فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ

[1] – سورة البقرة: 224.

وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ}[1]، لكنه اشترط العدل بين النساء لقوله تعالى: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً} أي إذا خفتم من عدم العدل بين الزوجات فالزموا الاقتصار على واحدة وهذا الاقتصار أقرب ألا تميلوا وتجوروا .

فالعدل المادي يجب أن يتحقق بين الزوجات ويستطيع الإنسان أن يقوم به، وليس أمرا صعبا ولا مستحيلا . فإذا لم يعدل فقد ظلم، والظلم حرام .

أما العدل التام الكامل بين النساء والتسوية بينهنَّ في المحبة والأنس والاستمتاع فهذا ليس بمقدور الإنسان، ولو بذل كل جهده؛ لأن التسوية في المحبة وميل القلب ليس بمقدور الإنسان لقول الله عز وجل: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ}[2]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللّهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك" ففي هذه الآية الكريمة والحديث الشريف حث وتحريض على الإحسان والإصلاح الذي يكون قائماً على العدل بين زوجاته اللاتي في عصمته فإذا عجز عن العدل بين زوجاته اللاتي في عصمته، فمهما حرص على ذلك فلن يصل إلى منتهاه وهذا بخصوص العدل القلبي، أما العدل المادي فهذا يمكن تحقيقه بالإصلاح وتوفيق من الله تعالى وهذا الإصلاح يحتاج إلى مراقبة الله تعالى في جميع أحواله وأموره الظاهرة أمام زوجاته؛ لأن عدم إتباع العدل بينهم سيجعل الزوج متبعا لهواه في القسمة والنفقة وبقيه الأمور الماديّة، وإتباع الهوى أخطر ما يهدد الأسرة، وبالتالي فإن مصيرها يكون إلى الانفصال[3].

فإن اتبع الرجل هواه، أو وقع خلاف بينه وبين الزوجة فمنعها حقها، وأعرض عنها، فالقرآن الكريم قدم العلاج عن طريق الإصلاح، قال تعالى: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا

---

[1]- سورة النساء: 3.

[2]- سورة النساء: 128.

[3]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (نشز) .

نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ}[1] فالنشوز، هو المكان المرتفع ويكون بين الزوجين وهو كراهة كل منهما صاحبة تضمنت الآية حكماً عادلاً، وتشريعاً رحيماً، وإرشاداً سديداً، وهو أن الزوجة إذا توقعت من زوجها نشوزاً، أي ترفع عنها، وأعرض عنها، فيجوز لها أن تجري مع زوجها صلحاً يحفظ لها بقاءها في بيتها، عزيزة محترمة، ويجب على الزوج أن يتعامل مع زوجته بكل سماحة ورحمة، وفي ذلك دعوة إلى الإصلاح ما بين الزوجين إن ابتدأت تسير العلاقة بينهما في غير طريق المودة، فالصلح في هذه الحالة يكون خيراً من الطلاق، أو من سوء العشرة، أو من الخصومة[2].

فإذا لم ينفع الصلح في حالة النشوز من الزوج، ووقع الشقاق بينهما فلا بد من الصلح بينهما مره أخرى، ونرى أنّ التدرج واضحٌ لحل الخلافات في العلاقات الزوجية، وكيف يعالجها القرآن الكريم عن طريق التدرج، قال تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا}[3] والشقاق، أي إبعاد الشيء عن الشيء، وتقول شققت اللوح، أي أبعدت نصفيه عن بعضهما[4]، والشقاق المخالفة أي صار في شق غير شق صاحبه[5]، فلما كان الرجل والمرأة زوجين، فإنهما التحما بالزواج وصارا شيئاً واحداً فأي شيء يبعد بين الاثنين يكون (شقاقاً)، فإذا وقع خلاف يؤدي إلى الشقاق فوجب إرسال أهل الإصلاح بينهما، ونجد أن القرآن الكريم لم يذكر في هذه الحالة إلا (الإصلاح) و لم يذكر ما يقابله وهو (التفريق) بين الزوجين،

---

[1]- سورة النساء: 128.

[2]- الماوردي، النكت والعيون، ج1، ص532، أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، رشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2، ص239، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص459.

[3]- سورة النساء: 35.

[4]- ابن منظور، لسان العرب، مادة شقق.

[5]- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 458.

وفي ذلك لطيفة دقيقة، وهو إرشاد من الله تعالى للحكمين إلى أنه ينبغي أن لا يدخرا وسعاً في الإصلاح؛ لأن التفريق خراب للبيوت وفي التوفيق، الألفة والمودة والرحمة، وهو غرض شريف يجب السعي لتطبيقه[1]، ويجب أن يكون الحكمان من أهلهما؛ لأن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال، وأطلب للصلاح، وإليهم تسكن نفوس الزوجين، ويبرز إليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض، وإرادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته، وما يرويانه عن الأجانب، ولا يجبان أن يطلعوا عليه[2]، وخص الأهل لأنهم أطلب للصلاح، وهذا على وجه الاستحباب، وإن نصبا من الأجانب جاز[3] ويجب أن يعلم أهل الإصلاح أنه لا بد من توفر شروط الإرادة نحو الإصلاح ثم العدل بين الزوجين، إذ إن النية الحسنة لا تكفي إلا مع إقامة العدل.

وإن وصل الأمر إلى الطلاق قال تعالى: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[4]، وبعولتهن أي أزواجهن جمع بعل وهو الزوج، وأصل البعل السيد المالك[5]، وفي هذه الحالة، فإن الأزواج أحق بهن في الرجعة من الأجانب إذا لم تنقض عدتهن، ويكون الغرض من الرجعة (الإصلاح) وليس (الإضرار)، وهن من حسن الصحبة والعشرة

---

[1]- الصابوني، روائع البيان تفسير أيات الأحكام، ج1 ص468.

[2]- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ج1، ص392، أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، رشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج1، ص340.

[3]- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن، ج5، ص 26.

[4]- سورة البقرة: 228.

[5]- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (بعل).

بالمعروف على أزواجهن، مثل الذي عليهن من الطاعة في أمر الله تعالى فيتحقق العدل من الزوج ومن الزوجة.

والحكمة في إثبات حق الرجعة أن الإنسان ما دام مع صاحبه لا يدري هل تشق عليه المفارقة أو لا، فإذا فارقه فعند ذلك يظهر، فلو جعل الله الطلقة الواحدة مانعة من الرجوع لعظمت المشقة على الإنسان إذ قد تظهر المحبة بعد المفارقة، ثم لما كان كمال التجربة لا يحصل بالمرة الواحدة، وهذا التدرج والترتيب يدل على كمال رحمته تعالى ورأفته بعباده[1] وبيّن الحق أن أحاديث الناس وكلامهم كثير منه ليس فيه فائدة، ولا مصلحة إلا ما كان في الإصلاح، قال تعالى: {لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}[2].

فالنجوى: مصدر، وهي المسارة في الحديث، وهي مشتقة من النجو، وهو المكان المستتر الذي يفضي إلية فينجو من طالبه، وعلى هذا ففي الآية تربية اجتماعية؛ لأن المحادثات والمحاورات لا بد أن تكون فيها الصراحة وهي من أفضل الأخلاق لدلالتها على ثقة المتكلم برأيه، وعلى شجاعته في إظهار تفكيره[3] فالنجوى من أشهر الأحوال التي تؤدي إلى النزاع بين الناس، وأمر يحمل على الإضلال، والسبيل أن تكون المناجاة مقبولة، فلا بد منها في الإصلاح بين الناس لدفع الضرر عنهم، أو لجلب مصلحة لهم، ويكون الإصلاح قائماً على مرضاة الله سبحانه وتعالى[4] وإلا لا يقبل ذلك ولا يعد إصلاحاً .

---

[1]- الرازي، مفاتيح الغيب، ج6، ص105.

[2]- سورة النساء: 114.

[3]- ابن عاشور، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج4، ص109.

[4]- الماوردي، النكت والعيون، ج1، ص528، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص382.

الخاتمـــة:

لقد توصل الباحث من هذه الدراسة إلى أهم النتائج الآتية:

1. لابد من الوقوف على المشكلات الاجتماعية، والبحث عن أسبابها والكشف عن مسبباتها؛ لأن ذلك تشخيص حقيقي للمشكلة، وبالتالي معرفة ذلك أنجح أنواع العلاج لتلك المشكلة.

2. المشكلات الاجتماعية، تقع في أي مجتمع من المجتمعات، وفي أي طبقة من أبناء المجتمع، وفي أي فئة من المجتمع، فهي ليست محصورة في مجتمع دون الآخر، أو بشر دون سواهم، وتقع في جميع نواحي الحياة الإنسانية، اقتصادية، اجتماعية، سياسية، عسكرية، وغير ذلك.

3. الإصلاح منهج قرآني يجب معرفته وتتبعه في الآيات القرآنية، حتى يصبح أسلوباً وقائياً وعلاجياً للأفراد والجماعات.

4. الإصلاح القرآني، قائم على مرضاة الله تعالى، فلا يقوم به إلا من كان مؤمناً، ويسعى أن يكون إنساناً تقياً، فالإيمان والتقوى هما الدافعان بالإنسان نحو الإصلاح.

5. الإصلاح بالقرآن الكريم، يجب أن يكون قائماً على العدل الذي أمر الله به، والابتعاد عن الهوى؛ لأن تطبيق أوامر الله ينعكس على الأفراد والجماعات بالخير والطاعات، واتباع الهوى يجلب للأفراد والجماعات الشر والنزاعات والصراعات.

6. لا بد من توفر شروط في أهل الإصلاح وهي: الإرادة الخيّرة، لجلب المنافع للناس ودفع الضرر عنهم.

7. الإصلاح يقدم العلاج المتميز، بأنه مرحلي تراعي التدرج، وأنه عملي تقدم على خطوات إجرائية واضحة ومحددة، لا غموض فيها ولا خفاء وأنه واقعي قابل للتنفيذ والتطبيق، وليس مجرد قوانين مكتوبة لا يمكن تنفيذها.

8. مادام أن المشكلات الاجتماعية توجد في كافة نواحي الحياة الإنسانية، فكذلك الإصلاح يكون في كافة الحياة الإنسانية، لتحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع.